أعلام العرب

المختار الثقفي

مرآة العصر الأموي

تأليف

الدكتور علي حسني الخربوطلي

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المختار بن أبى عبيد الثقفى أحد رجالات العرب المبرزين ، ومن أشهر الشخصيات التى عرفها التاريخ الاسلامى عامة ، وتاريخ صدر الاسلام خاصة . فقد لعب دورا كبيرا أثر فى الحوادث السياسية والحياة الدينية والاجتماعية ، فى الدولة العربية الاسلامية فى عصر بنى أمية . وأثر فيها أثرا ظاهرا لم ينقطع بانتهاء حياته سنة ٦٧ هـ ، بل ان سياسة المختار قد أثرت آثارا عميقة واضحة فى الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية فى العالم الاسلامى وخاصة بلاد العراق وفارس وخراسان والحجاز ، فقد أحيا المختار فى نفوس الموالى [1] آمالا عريضة عملوا على احيائها طوال العصر الأموى واستطاعوا أن يدفعوا العباسيين الى العمل على اسقاط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، كما أثر فى تاريخ أحزاب الشيعة والخوارج والزبيريين والتوابين ، تلك الأحزاب التى كان لها آثارها فى عصر بنى أمية .

وقد اعتاد المؤرخون العرب أن يقولوا ان دهاة العرب أربعة :

(١) الموالى : المسلمون من غير العرب .

معاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه . ولو أنصفوا لأضافوا لهؤلاء المختار بن أبى عبيد الثقفى . فتاريخه يثبت أنه كان على جانب كبير من الذكاء والدهاء الى جانب الشخصية القوية والعقل المدبر ، وهو لا يقل دهاء عن معاصريه الدهاة الأربعة . ولكن المؤرخين لم ينصفوه كما أنصفوهم ، وقد يرجع السبب فى ذلك الى أنه لم يبايع له بالخلافة، بل اعتمد على نفسه وعلى دهائه وجهوده فيما وصل اليه من سلطة ونفوذ ، فقد استطاع أن يكون الرجل الأول فى بلاد العراق منذ وفاة يزيد بن معاوية الى أوائل خلافة عبد الملك بن مروان . ويعلل المؤرخ (فلهوزن) عدم انصاف المؤرخين العرب للمختار بأنه وقف الى جانب الموالى وعمل على تحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية مما أغضب بعض العرب منه .

وتتمثل فى شخصية المختار جوانب عديدة ، فهو أحد أبناء ثقيف ، تلك القبيلة العربية الكبيرة التى سادت فى الطائف فى العصر الجاهلى ، وكانت منزلتها فى الطائف على مثال مكانة قريش فى مكة . ثم برزت هذه القبيلة فى العصر الاسلامى ، فقد أخلصت دائما للاسلام ، وبرز من أبنائها رجال أبطال استطاعوا أن يحتلوا مكانة كبيرة فى التاريخ الاسلامى ، مثل المغيرة بن شعبة والى العراق المشهور ، والحجاج بن يوسف الثقفى سيف بنى مروان ، ومحمد بن القاسم الثقفى فاتح الهند . ونضيف الى هؤلاء الثقفيين المختار بن أبى عبيد الثقفى .

والمختار سياسى محنك من الطراز الأول ، وقد استطاع أن

يدير دفة السياسة فى الحجاز والعراق ، كما وضع فى العراق أسس حكومة منظمة عادلة ، وبرز فى ميدان الحكم والادارة . كما كان قائدا حربيا عظيما أثبت كفاءته فى شتى الميادين الحربية ، بل برزت بطولته منذ صباه حين وقف الى جانب أبيه أبى عبيد ابن مسعود قائد الجيش العربى فى فتوح العراق فى خلافة عمر ابن الخطاب .

والمختار شيعى متحمس ينصر البيت العلوى وبنى هاشم ، فنراه يفتح باب داره أمام مسلم بن عقيل بن أبى طالب مبعوث الحسين بن على الى العراق ، فتصبح داره ملتقى الشيعة ثم نراه مناوئا للحكم الأموى بالعراق ، ثم نراه وزيرا لعبد الله بن الزبير الذى أعلن نفسه خليفة فى الحجاز . ثم يرحل المختار الى العراق فيصبح الرجل الأول ، ويعلن أنه وزير محمد بن على بن أبى طالب ، المعروف بابن الحنفية ، ويأخذ بثأر الحسين من قتلته .

ولعلنا على صواب اذ وصفنا المختار بأنه (مرآة العصر الأموى) لأن تاريخه فى الحقيقة هو تاريخ الأحزاب السياسية ، والفرق الدينية فى ذلك العصر ، فقد أثر فى تاريخ الحركة الزبيرية ، وكان عاملا من عوامل اخفاقها ، كما لعب دورا كبيرا فى ضياع بلاد العراق والحجاز من قبضة الدولة الأموية بعد وفاة يزيد بن معاوية الى أن استردها عبد الملك بن مروان .

وتاريخ المختار يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ حزبى الشيعة والخوارج . فقد اصطدمت حركة المختار بحزب الخوارج ، كما

أثر المختار فى مصير حركة التوابين الشيعية بالعراق ، وكان وزيرا للعلويين بالعراق وممثلا لهم ، ونصير بنى هاشم بالحجاز .

وينتسب الى المختار فرقتان كبيرتان من فرق الشيعة هما الكيسانية والمختارية ، وقد تفرع عن الكيسانية فرقة الهاشمية التى لعبت دورا رئيسيا فى قيام الدولة العباسية . كما أن المختار هو الذى بث روح القوة والحياة فى حزب الموالى ، فقد رفع من شأنهم وأنصفهم ودافع عنهم وبث فيهم آمالا وطموحا ، وعمل على تحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وحرص الموالى على هذه الحقوق طوال العصرين الأموى والعباسى .

ويرى المؤرخ (فلهوزن) أن المختار خليق بالمديح لكونه كان أسبق من غيره فى ادراك أن الأحوال القائمة آنذاك لا يمكن أن تبقى كما هى ، فقد كان العنصر العربى هو وحده يتمتع بالحقوق المدنية كاملة فى الدولة ، ولو كان المختار قد حقق هدفه الأصلى ، لكان منقذ الدولة العربية .

ورغم هذه الأهمية الواضحة لتاريخ المختار ، فان هذا الرجل لم ينل حقه من مؤرخى التاريخ العربى الاسلامى ، فلا نرى كتابا قد تناول تاريخ هذا البطل العربى ، ولكن آن الأوان ليسترد ما يستحقه من دراسة وتقدير وانصاف ، فهو جدير بأن نضم تاريخه الى تواريخ غيره من أعلام العرب . والله ولىّ التوفيق .

المؤلف

الجيزة فى ديسمبر ١٩٦٢ .

المختار : قبيلته ، أسرته ، شخصيته ، صفاته

الطائف وقبيلة ثقيف فى الجاهلية ـ ثقيف بعد ظهور الاسلام ـ أسرة المختار ـ نشأة المختار ـ شخصية المختار بين رجالات ثقيف ـ بين المختار والمغيرة بن شعبة الثقفى ـ بين المختار وزياد بن أبيه ـ بين المختار والحجاج بن يوسف الثقفى ـ صفات المختار .

الفصل الأول

المختار : قبيلته ، أسرته ، شخصيته ، صفاته

الطائف وقبيلة ثقيف فى الجاهلية :

ينتسب المختار بن أبى عبيد بن مسعود الى قبيلة ثقيف ، وهى قبيلة عربية مجيدة ، سكنت الطائف قبل ظهور الاسلام منذ زمن بعيد ، وسادت الطائف ، وأصبحت مكانة ثقيف فى الطائف تماثل منزلة قريش فى مكة .

كانت مدينة الطائف قبل أن تصبح لثقيف السيادة فيها تسمى (وج) نسبة الى وجّ بن عبد الحى أحد العمالقة الذين سكنوها ، وكانت تقع على بعد اثنى عشر فرسخا شرقى مكة على منطقة مرتفعة من الأرض ، مما أدى الى اعتدال جوها ، وانتشار الحدائق الغناء والبساتين اليانعة الزاخرة بشتى أنواع الفاكهة ، حتى أنها وصفت بأنها « بقعة من الشام انتقلت الى الحجاز » ، وكانت هذه المدينة لطيب هوائها مصيفا للطبقة الأرستقراطية فى مكة ، وارتبطت الطائف بمكة ارتباطا وثيقا ، فكان أثرياء قريش بمكة يمتلكون العقارات بها ، ويقرضون أهل الطائف ما يحتاجون

من أموال ، كما كانت قريش تعتمد على ما تنتجه الطائف من كروم فى انتاج الزبيب الذى تضعه فى ماء زمزم لسقاية الحجاج [1] . واقترن اسم مكة والطائف فى العصر الجاهلى والعصر الاسلامى ، فجاء فى القرآن الكريم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [2] .

كانت ثقيف تقيم بالطائف ، ويروى المؤرخون فى سبب اطلاق اسم ثقيف على هذه القبيلة أن قسيا بن منبه بن بكر بن هوازن لما رحل من وادى القرى الى وجّ التى عرفت باسم الطائف ، قابل زعيمها عامر العدوانى ، وطلب منه أن يزوجه احدى بناته ، فزوجه اياها وأنجب منها أولادا ، ثم توفيت ، فتزوج أختهـا ، واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان التى أخـذها من عجوز يهودية كان قد أقام عندها بوادى القرى . فلمـا أثمرت العيدان ، قال أهالى وج : قاتله الله كيف ثقف عامرا حتى بلغ منه ما بلغ ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء ، فسمى ثقيفا من يومئذ .

وكثر نسل ثقيف ، وأصبح أبناؤه وأحفـاده يمثلون قبيلة عظيمة كثيرة العدد ، وأصبح لها السيادة فى الطائف ، ورأت ثقيف أن تبنى حول مدينتهم (وج) سورا يحصنهـا ، حتى اذا انتهى

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٥٨ وما بعدها .

(٢) سورة الزخرف آية ٣١ .

بناء الشور الذى أصبح (يطوف) بالمدينة ، أصبح يطلق على المدينة اسم (الطائف) [1] .

ثقيف بعد ظهور الإسلام

ولما ظهر الاسلام ، ونزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة ، بدأ يدعو عشيرته وقريشا وغيرها من القبائل العربية الى الاسلام ، وتعرض المسلمون الأوائل الى صنوف الاضطهاد والتعذيب من قريش التى أدركت أن انتشار الاسلام يقضى على سيادتها السياسية ونفوذها الدينى ، فقد كانت قريش حامية الكعبة مركز الوثنية وأدى هذا الى علو شأنها بين العرب . حتى اذا اشتد عذاب قريش للمسلمين سمح لهم بالهجرة الى الحبشة فقد كان ملكها يشتهر بالعدل والتسامح .

لم يفكر الرسول فى هجرة المسلمين الى احدى المدن العربية بالحجاز ، كالطائف مثلا ، فقد كانت معظم القبائل العربية ترفض دعوته فى مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكا بدينها الوثنى . وغضبت قريش لهجرة المسلمين الى الحبشة ، فبعثت وفدا محملا بالهدايا الفاخرة ، يطلب من نجاشى الحبشة رد المهاجرين الى مكة . ولكن النجاشى كان بعيد النظر ، فطلب من المهاجرين أن يحدثوه عن حقيقة دينهم ، فشرحوا له تعاليم الاسلام ، فبكى النجاشى وقال : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ١٢ ـ ١٤ .

واحدة ، انطلقا والله لا أسلمهم اليكما . ورجع وفد قريش يجر أذيال الخيبة [1] . وظل المهاجرون فى الحبشة حتى هاجر الرسول الى المدينة فعاد معظمهم .

كانت هجرة المسلمين الى الحبشة فرارا من أذى قريش ، كما كان اسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ضربتين أصابتا قريشا فى الصميم ، فرأى القرشيون أن يتخذوا أمرا حاسما فاتفقوا على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، وعاهدوا أنفسهم على ألا يتعاملوا معهم فى بيع أو شراء أو زواج ، ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ، حتى يسلموا اليهم محمدا ليقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة . وظل بنو هاشم وبنو عبد المطلب مهجورين فى شعب من شعاب مكة ثلاث سنين ، لا يصلهم الا القوت الضرورى خفية ، حتى عطف بعض القرشيين عليهم فدعوا الى انتهاء المقاطعة .

كانت وفاة أبى طالب عم الرسول صدمة عنيفة له ، فلم يكن أكثر أقاربه عطفا ومودة فحسب ، بل كان يبسط عليه حمايته بما كان له من نفوذ عظيم فى مكة . حتى اذا مات أبو طالب ، لم يجد الرسول من يدفع عنه عداء أبى سفيان وأبى جهل ، اللذين ما لبثا أن أثارا عداء القرشيين له ، وشعر محمد أنه لم يعد يأمن على نفسه فى مكة ، فخرج مع مولاه زيد بن حارثة ليبحثا عن ملجأ فى الطائف .

دخل محمد الطائف ، فى ثقة واطمئنان ، معتمدا على ماكان

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ .

لعمه العباس بن عبد المطلب من نفوذ ، فقد كان يملك شيئا من العقار فى الطائف . ولكن الطائف خيبت ظنه ، فقد كانت من أكبر معاقل الوثنية ، وكان أهلها من ثقيف يتوجهون بعبادتهم الى (اللات) وهى وثن من الحجر مغطى بالحلى والأحجار الكريمة ، وكان أهل الطائف يتقدمون اليها بالنذور والقربان ، ويعتبرونها احدى بنات الله .

مكث محمد فى الطائف نحو شهر وحاول عبثا أن ينشر الاسلام بين أهلها ، فكان اذا وقف يدعوهم الى الاسلام يضيع صوته وسط ضجيجهم . وحدث مرة أن أصيب الرسول بجراح اثر قذفه بالحجارة ، وحاول زيد بن حارثة عبثا أن يحميه منها ، واشتد اضطهاد أهل الطائف له ، وما لبثوا أن أخرجوه من مدينتهم ، وتتبعه بعض الأرقاء والأطفال السفهاء يوجهون اليه الاهانات . وكان هذا الموقف الذى وقفته ثقيف من الرسول داعيا لأن ينصرف الرسول عن الطائف ويفكر فى الهجرة الى يثرب ، وكانت الطائف تفضل يثرب لقربها من مكة واتصالها الوثيق بها .

سار الاسلام يشق طريقه فى نجاح يوما بعد يوم ، فهاجر الرسول والمسلمون الى يثرب ، واستطاعوا أن ينتصروا فى عدة ميادين على قريش ، وما لبث الرسول أن دخل مكة وحطم أصنام الكعبة معلنا أن دولة الأصنام قد دالت ، وبدأت دولة الاسلام .

وبعد فتح مكة بخمسة عشر يوما ، علم الرسول بقدوم هوازن وثقيف لقتال المسلمين ، والتقى الجيش الاسلامى بهاتين القبيلتين وهزمهما فى موقعة حنين سنة ٨ هـ ، وانسحبت فلول القبيلتين الى

الطائف حيث اعتصمت بها ، فحاصرها الرسول خمسة عشر يوما ، وهدد أهلها باتلاف بساتينهم وتحريق كرومهم ، وعز على ثقيف كرومها ولكنها أبت الاستسلام ، حتى اذا دنا شهر ذى القعدة ، وهو من الأشهر الحرم ، ، فك عنها الحصار ليرجع اليهم بعد انقضاء الأشهر الحرم [1] .

ظنت ثقيف ، وقد رأت أن جيش المسلمين يتراجع عن الطائف دون أن يكرههم على التسليم ، أنها قد امتنعت بحصونها على الرسول وانتصرت على المسلمين ، وهم الذين دانت لهم الجزيرة العربية كلها ، فاعتزت ثقيف بهذا النصر وشمخت بأنفها على سائر القبائل . ولم تدر أن الرسول انما عدل عن حصارها وتركها لحصار أطول وأشد ، فقد صارت بوثنيتها فى الطائف فى عزلة عن سائر العرب حولها ، الذين أسلموا وأصبحوا يناصبونها العداء ، ويعتبرون أنفسهم فى حالة حرب معها لمناوأتها الاسلام وتعذيبها من أسلم من أهلها [2] .

شعرت ثقيف بشدة وطأة هذا النوع من الحصار ، ورأت أن تعتنق الاسلام . فقدم وفد ثقيف على الرسول فى الشهر الذى عاد فيه من غزوة تبوك (رمضان سنة ٩ هـ) وعرضوا عليه اسلامهم ، وشرطوا عليه أن يعفيهم من الصلاة ، وأن يترك لهم معبودتهم « اللات » لا يهدمها ثلاث سنين . فأبى الرسول الا أن يدخلوا

---

(١) ابن هشام جـ ٤ ص ٢٧ ومابعدها .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ١ ص ١٤٥ .

فى الاسلام من غير قيد ولا شرط ، حتى لقد سألوه أن يتركها سنتين بدلا من ثلاث ، ثم سنة ثم شهرا ، فأبى أيضا . غير أن الرسول أعفاهم من أن يهدموها بأيديهم [1] .

ورغم تأخر ثقيف فى اعتناق الاسلام وحرصها على وثنيتها ، فقد أصبحت هذه القبيلة بعد اسلامها من أشد القبائل العربية تحمسا للاسلام وبذلت جهودها فى سبيل نشره . فتمسكت ثقيف بالاسلام بعد وفاة الرسول رغم ارتداد عدد كبير من القبائل العربية ، فقد كان الاسلام مقصورا على أهل مكة والمدينة والطائف وقبيلة عبد القيس . ولم يكن مقاومة ثقيف للاسلام زمن الدعوة الا لأنها خشيت على ما كان لها فى العصر الجاهلى من نفوذ سياسى ، وسيادة فى الطائف .

ظهر من قبيلة ثقيف أبطال كثيرون منهم أبو عبيد بن مسعود والد المختار ، وعروة بن مسعود عمه ، والمغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب الأربعة ووالى معاوية فى العراق ، والمختار بن أبى عبيد الثقفى رجلنا فى هذا البحث ، والحجاج بن يوسف الثقفى عضد الدولة الأموية فى عهد الخليفتين عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ، ومحمد بن القاسم الثقفى القائد الحربى المشهور وفاتح الهند المعروف ، ويوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أواخر العصر الأموى ، وغيرهم .

---

(١) ابن هشام جـ ٤ ص ٢٠٠ .

أسرة المختار :

كان عروة بن مسعود — عم المختار — من السابقين من ثقيف الى الاسلام . فبعد عودة الرسول الى المدينة بعد حصار الطائف وفد عليه عروة بن مسعود وأعلن اعتناقه الاسلام ، وكان عروة من سادات ثقيف . وكان فى أثناء حصار الطائف فى اليمن يتعلم صناعة الدبابات والضبور التى عزمت ثقيف على أن تعدها لمهاجمة الرسول فى موقعة حنين . فلما علم عروة بانصراف الرسول عن الطائف وذهابه الى المدينة لحق به حتى قيل انه أدركه قبل أن يصل الى المدينة . فلما أسلم استأذن الرسول فى العودة الى الطائف ليدعو قومه الى الاسلام ، فخشى على الرسول عنت أهل الطائف وحذره أن يقتلوه ، فعزم على الذهاب معتمدا على شرف بيته فيهم ورفعة شأنه بينهم ، وقال للرسول : « أنا أحب اليهم من أبكارهم » .

فلما وصل عروة الى الطائف دعا قومه الى الاسلام ، حتى اذا كان الفجر صعد الى علية له [1] ، ودعا من فوقها الى الصلاة والايمان بالله ، فاجتمعوا عليه ورموه بالنبل ، فمات مغتبطا باستشهاده فى سبيل الله ، وطلب أن يدفن مع من استشهد من المسلمين فى حصار الطائف فدفن معهم . ولجأ ابنه مليح ومعه

---

(١) غرفة فى أعلى البيت .

قارب بن الأسود الى الرسول — وقد أسلما — « يريدان فراق ثقيف وألا يجامعاهم على شيء أبدا » [1] .

أما أبو عبيد بن مسعود ، والد المختار ، فقد اعتنق الاسلام وأخلص له ، وأصبح من أبرز المجاهدين فى سبيل نشره ، فكان قائدا من قواد الجيوش الاسلامية التى توجهت لفتح العراق فى مطلع خلافة عمر بن الخطاب ، ومات فى ساحة القتال شهيدا من أجل رفعة شأن الاسلام .

وفى نفس الليلة التى توفى فيها أبو بكر وتولى الخلافة عمر ابن الخطاب ، افتتح عمر عهده بندب المسلمين للقتال مع المثنى ابن حارثة فى فارس ، وفى اليوم الرابع بدأ ينتدب المسلمين لفتح العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود واختار عمر ألف رجل من أهل المدينة وضعهم تحت قيادة أبى عبيد . واعترض البعض على اختيار أبى عبيد لقيادة هذا الجيش وطلبوا من عمر أن يختار بدله أحد صحابة الرسول أو أحد كبار المهاجرين والأنصار ، فأبى عمر وقال لهم : « لا والله لا أفعل ، ان الله انما رفعكم بسبقكم وسرعتكم الى العدو ، فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع وأجاب الى الدعاء ، والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتدابا » . وتوجه عمر الى أبى عبيد بالنصيحة فقال : « اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين ، فانها الحرب ،

---

(١) ابن هشام جـ ٤ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

والحرب لا يصلها الا الرجـــل المكيث الذى يعرف الفرصـة والكف » [1] .

أبدى أبو عبيد فى ميدان القتال شجاعة واستبسالا ، كمـا أبدى تسامحا وشهامة ، فيروى الطبرى [2] أن القـائد الفارسى (جابان) قد وقع أسيرا فى يد أحد القواد العرب وهو مطـر بن فضة فاستطاع جابان أن يخفى عن مطر أنه يتولى القيادة ، فظنه جنديا بسيطا ، فأمّنه على نفســـه وأطلق سراحـه ، ثم قبض المسلمون عليـه مرة أخـرى وأتوا به أبا عبيد وأخبروه بمركزه الممتاز بين جنده وأشاروا عليه بقتله ، فأبى أبو عبيد وقال : انى أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم ، المسلمون فى التواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كله . فقالوا له : انه الملك . قال : وان كان لا أغدر . فتركه .

وفى خلال الحرب مع الفرس ، حاز المسلمون أنواعا فاخرة عديدة من الطعام ، لا تقارن بما كانوا يتناولونه من طعام بسيط فى الجزيرة العربية ، ولما نزل أبو عبيد احدى قرى فارس ، صنعوا له طعاما فاخرا ، ولكن أبا عبيد رفض تناول هذا الطعام الفاخر ، ولم يقبل على الأكل الا بعد أن أقنعوه أن جميع الجند يتناولون هذه الأنواع الفاخرة من الطعام ، فيروى الطبرى [3] : «..فصنع لأبى عبيـد طعـام فأتى به فلمـا رآه قـال : ما أنا بالذى آكل

---

(١) الطبرى جـ ٢ ص ٦٣١ .
(٢) الطبرى جـ ٢ ص ٦٣١ .
(٣) الطبرى جـ ٢ ص ٦٣٧ .

هذا دون المسلمين . فلمّا رجعوا اليه سألهم عن طعامهم فأخبروه بما جاءهم من الطعام » .

ومات أبو عبيد شهيدا أثناء قتاله الفرس على شاطىء الفرات، فقد أراد الفرس أن يحيلوا هزائمهم نصرا فيبثوا الرعب فى قلوب المسلمين ، فجعلوا الفيلة فى مقدمة جيوشهم ، فلما رأتها خيول المسلمين أجفلت ، فقد غطى الفرس الفيلة بسعف النخيل وعلقوا عليها الأجراس . وتقدم أبو عبيد فى مقدمة المسلمين ، فهجم عليه فيل أبيض ، فوجه أبو عبيد اليه ضربة بسيفه تلقاها الفيل بقدمه ، وما لبث الفيل أن أوقع أبا عبيد أرضا وداسه بأقدامه . وتولى القيادة سبعة رجال من أبناء ثقيف على التوالى فكانوا يلقون حتفهم الواحد بعد الآخر ، وتقدم قائد ثقفى هو عبد الله بن مرثد الثقفى فاستطاع أن يقود المسلمين ويعبر بهم نهر الفرات فنجوا من الفيلة ، وقتل فى هذه المعركة أربعة آلاف بين قتيل فى المعركة وغريق فى نهر الفرات .

كان أول هؤلاء الثقفيين السبعة الذين خلفوا أبا عبيد فى القيادة ابنه جبر ، وكان أبو عبيد قد عهد اليه بالقيادة قبل المعركة اذا أدركته المنية ، وأوصى الجند المسلمين بطاعته . وكان هذا العهد نتيجة نبوءة تنبأت بها (دومة) زوجة أبى عبيد ، وأم جبر والمختار . فقد رأت فى منامها أن رجلا نزل من السماء معه اناء فيه شراب من الجنة ، فشرب منه أبو عبيد وابنه جبر وأناس من أهله .

نشأة المختار :

يحيط الغموض بطفولة المختار ، فقد أهمل المؤرخون دراسة حياة المختار فى مطلع حياته ، ولم يبدوا اهتماما الا بتاريخه بعد أن ظهر على مسرح الأحداث فى العراق ، مما يجعل مهمتنا عسيرة اذا أردنا أن نلقى الضوء على حياة المختار فى طفولته أو صباه .

ونستطيع أن نستنتج مما روته المصادر القديمة من أخبار المختار أنه ولد فى السنة الأولى من الهجرة ، فالمصادر تذكر أنه قتل فى سنة ٦٧ هـ وكان حينئذ فى السابعة والستين من عمره [١].

وقد ولد فى مدينة الطائف حيث عاش أبوه أبو عبيد وآله من قبيلة ثقيف صاحبة السيادة فى الطائف . وأمّه (دومة) وهى امرأة عربية أثبتت بطولتها اذ صاحبت زوجها أبا عبيد خلال قيادته جيوش المسلمين فى العراق ، وشاركته جهاده فى سبيل الله والاسلام ، وشاهدت مصرع زوجها وابنها جبر . وكان المختار وقت أن استشهد أبوه وأخوه فى الثالثة عشرة من عمره ، وكان مصاحبا لوالديه وأخيه [٢] .

ويتحدث المؤرخون القدامى أن دلائل النجابة بدت على المختار فى حداثة سنه ، فهم يروون أن أباه جاء به الى على بن أبى طالب وهو صبى فأجلسه علىّ على فخذه ، ومسح على رأسه

---

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٥٧٧ .

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ ٥ ص ٢١٤ .

قائلا : يا كيس يا كيس . ويعلق أحد المؤرخين الشيعيين [1] على ذلك بقوله : فكانت هذه الكلمة دليلا على ما يظهر على يد المختار من مظاهر السداد ، والأخذ بحق العلويين وطلب تراثهم ، وان هذه الكلمة . الصادرة من أمير المؤمنين عليه السلام من مخبآت المستقبل ، وانها ألمعت الى الحوادث التى يقوم بها ، وكان المختار يحسب لهذه البشارة حسابا ويحدث بها نفسه .

كان خروج المختار مع أبيه الى بلاد العراق لقتال الفرس أول عهد المختار بهذه البلاد ، وقد استمر هذا الاتصال طوال عهد الخلفاء الراشدين وزاد قوة فى عصر الدولة الأموية واستمر المختار يكافح حتى أصبح الرجل الأول فى العراق .

أصبح عم المختار ، وهو سعد بن مسعود ، واليا فى مدينة المدائن بفارس ، وعاش المختار فى كنف عمه . وحدث أن بايع العراق للحسن بن علىّ بعد مصرع أبيه علىّ بن أبى طالب ، بينما بايع أهل الشام معاوية بن أبى سفيان ، وبدأ الصراع بين الخليفتين ، وبدأ كل منهما يمد نفوذه الى سائر الأمصار الاسلامية ، ولكن كفة معاوية كانت راجحة ، وربما شعر المختار أن الأحداث تمضى لصالح معاوية وأنه سيفوز بالنصر على الحسن حتما ، فرأى أن يسبق الأحداث ، فنصح عمه بالتخلى عن الحسن وتسليمه لمعاوية ، ولكن سعدا أعرض عن رأى

(١) المقرم : الشهيد مسلم بن عقيل ص ١٩٩ .